المحاضرة السابعة

المعارف:

1. معرفة بعض أخلاق الرسولρ.
2. معرفة بعض شمائلρ.

المهارات الإدراكية:

1. أن تصف أهمية الأخلاق في حياة الإنسان.
2. أن تعطي أمثلة على أخلاق الرسول ρ.

لقد تفضل الله تعالى على نبيهρ بكمال الخلق وجمال الصورة، كما تولى Y تربيتهρ وتعليمه ولذلك بلغ الكمال البشري في الخُلق. فقال تعالى: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) } [النساء: 113] وسئلت أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عائشة رضي الله عنها عن خلقه، فقَالَتْ: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4] "[1]. ونبين ذلك في النقاط التالية:

أولا: صفة هيئته:

جسده: كان ممشوق القوام يميل إلى الطول، بعيد عن القصر، كان بعيد المنكبين، عريض أعلى الظهر، عريض الصدر.

ثانيا: صورة وجهه:

كان أبيض اللون، تعلوه حمرة وزهرة، مليح الوجه، كان إذا سر استنار وجهه كفلقة القمر، وكان إذا تأثر عليه الصلاة والسلام بان في وجهه، وكان الصدق يظهر عليه[2].

---

[1] مسند أحمد ط الرسالة (41/ 149).

[2] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ" سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (2/ 360)

ثالثا: مشيته:

كان يمشي قويا جادا، متساوي الخطوات، يمشي سريعا كأنه ينزل من مكان منحدر. يقول أبو هريرة: فكنت إذا مشيت سبقني فأهرول، فإذا هرولت سبقته.

رابعا: حديثه:

فقد كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس ، وأعذبهم كلاماً وأسرعهم أداءً، وأحلاهم منطقا حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويأسر الأرواح ، يشهد له بذلك كل من سمعه.

وكان إذا تكلم تكلم بكلام فَصْلٍ مبين، يعده العاد ليس بسريع لا يُحفظ ، ولا بكلام منقطع لا يُدركُه السامع، بل هديه فيه أكمل الهديّ ،كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها:(ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل يتحفظه من جلس إليه) متفق عليه .

وثبت في ((الصحيحين)) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(بعثت بجوامع الكلام) وكان كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليفهمه السامع ويعقله عنه ، ففي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه :(كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ، حتى يفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم ، سلم ثلاثاً).

وكان صلى الله عليه وسلم طويل الصمت لا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وكان إذا تكلم افتتح كلامه واختتمه بذكر الله، وأتى بكلام فَصْلٍ ليس بالهزل ، لازيادة فيها عن بيان المراد ولاتقصير ، ولا فحش فيه ولا تقريع.

خامسا: ضحكه وبكاءه:

أما ضحكه صلى الله عليه وسلم فكان تبسماً، وغاية ما يكون من ضحكه أن تبدو نواجذه، فكان يَضْحَك مما يُضْحك منه، ويتعجب مما يُتعجب منه.

وكان بكاؤه صلى الله عليه وسلم من جنس ضحكه ، فلم يكن بكاءه بشهيق ولا برفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، بل كانت عيناه تدمعان حتى تهملا، ويُسمع لصدره أزيز، وكان صلى الله عليه وسلم تارة يبكى رحمة للميت كما دمعت عيناه لموت ولده، وتارة يبكي خوفاً على أمته وشفقة عليها ، وتارة تفيض عيناه من خشية الله ، فقد بكى لما قرأ عليه ابن مسعود رضي الله عنه (سورة النساء) وانتهى إلى قوله تعالى : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } [النساء:41]. وتارة كان يبكي اشتياقاً ومحبة وإجلالاً لعظمة خالقه سبحانه وتعالى.

سادسا: رائحته ونظافته:

كان حريصا جدا على النظافة والطهارة بشكل كبير جدا، وكان جميل الرائحة. قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: " مَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ خَزًّا، وَلَا حَرِيرًا، أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً

أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " [3] ويقول جابر: (مسح رسول الله خدي فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجه من جونة عطر). (و الجونة: الإناء المخصص للعطر).

سابعا: حسن لقاءه:

كان لا يفرق في حسن لقاءه وبشاشته بين الغني والفقير، ولا يميز بين أحدا من الناس، حتى يظن من يتعامل معه أنه أقرب الناس إليه. وكان يحب السلام ويبدأ بالسلام ويأمر أصحابه بالسلام. ويقول: (إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام). ويراه طريق المحبة والوداد.

ثامنا: بشريته:

حرص القرآن على إبراز بشريته وأن علاقته بربه علاقة عبودية وطاعة واستسلام له قال تعالى : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) } [الكهف: 110].

تاسعا: تقشفه وزهده:

كان قليل الطعام ولم يكن يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا إذا كان عنده ضيوف. وكان يبيت الليالي المتتابعة دون طعام هو وأهله، وعن عائشة أنه كان يأتيها فيقول : "أعندك غداء؟ " فتقول: لا. فيقول: "إني صائم".

عاشرا: تواضعه:

كان يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله.

الحادي عشر: خلقه :

ما كان رسول الله فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزئ بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ويقول: "خياركم أحسنكم أخلاقا."

الثاني عشر: حياؤه :

كان أشد حياء من العذراء في خدرها. وكان إذا رأى شئيا فلم يعجبه بان ذلك على وجهه. وكان يقول: الحياء لا يأتي إلا بخير.

الثالثة عشر: التيسيروالرفق:

كان رفيقا في تعامله، وإذا خير بين أمرين اختار الأيسر منهما ما لم يكن إثما. وكان يقول :" إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.".

الرابعة عشر: الحلم والأناة :

كان يحب الحلم والأناة ويكره الغضب وينهى عنه .

الخامسة عشر: الرحمة:

---

[3] مسند أحمد ط الرسالة (19/ 104)

كان رسول الله ρ رحمة للعالمين قال تعالى : (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك.) فكان يبكي رحمة بأمته، ويرحم الصغير والضعيف والمرأة وذا الحاجة. وكان لا يكلف الناس ما لا يطيقون. ويقول: (لولا أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة.). ويقول: (يسروا ولا تعسروا بشروا ولاتنفروا).
وللاستزاده في أخلاق النبي وصفاته راجعي كتاب فقه السيرة النبوية لمهدي رزق الله (ص713-736).